

الفصل الثالث عشر

المسرح

في عهد النبوة : الفن في خدمة الدعوة

● في مواجهة الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة في عهد النبي ﷺ ، استخدم عبد الله بن خطل ، أحد عتاة الكفر ، جارتين مغنيتين ، الأولى «فَرْتَنَى» والأخرى «فتنة» ، كانتا تغنيان شعراً بهجاء رسول الله ﷺ^(١).

- فالغناء والشعر كَانَا من وسائل الدعوة المضادة منذ وقت مبكر جداً . والمسلمون أيضاً دعوا إلى الله بالشعر ، وقد كان أعظم الفنون عند العرب في ذلك الوقت ، ولمعت أسماء الشعراء المسلمين : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . وقد ملأت قصائدهم مساحات واسعة من سيرة ابن هشام .

- ولما نزل قول الله تعالى ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [المزمل: ٢٠] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ ٢١ ﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦) هُرِعَ الشعراء المسلمون إلى رسول الله ﷺ ، يستفسرون ، فقال لهم : « اقرءوا ما بعدها : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية « أنتم ! ﴾ وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) أنتم ! » وقال ﷺ : « انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً ، ولا تذكروا الآباء والأمهات » - يعني بسوء . وقال أيضاً : « إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لَكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحُ النَّبْلِ »^(٢).

(١) إمتاع الأسماع ؛ ص ٣٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيات من رقم ٢٢٤ إلى ٢٢٧ - وتفسير القرطبي لها ؛ ط الشعب المجلد السادس ؛ ص ٤٨٦٨ ، ٤٨٦٩ .

● وعلى هذا يمكن القول إن الفنون يجب أن تتخذ وسائل للخطاب الديني ، شريطة أن تخلو من المحرمات . لكن المسلمين لا يزالون يترددون في اتخاذ فن المسرح والسينما كوسائل للدعوة ، على الرغم من أنها صارت هي المسيطرة على عقول الناس ، وعلى الرغم من إجراء بعض المحاولات الإسلامية في مجال المسرح منذ الثلاثينيات .

اقتراحات

● ولهذا أقترح تشكيل لجنة فنية رفيعة المستوى لإحياء المسرح الإسلامي . ومن الممكن أن ينهض بهذا الإحياء رجل أعمال مسلم . وفي اعتقادي أن دراسة الجدوى من هذا المشروع ستكون لصالحه ، ونحن نرى المسارح التجارية تحقق أرباحاً كبيرة . وسيكون للمسرح الإسلامي رؤّاده . لأن ملايين المسلمين يحبون مشاهدة المسرحيات الإسلامية ، وينفرون من المسرحيات المنحلة (الفارس) المسيطرة الآن .

- وربما يمكننا بعد إحياء المسرح الإسلامي التطلع إلى إنتاج تمثيلات ومسلسلات إسلامية للتلفاز ، غير « تشخيص التاريخ » الشائع الآن . وهذا مشروع تجاري ناجح ، وتطوير جذري مهم جداً في الخطاب الديني .

● والأفلام السينمائية الإسلامية تكمل هذا النشاط الفني الدعوي المفقود . وإنها لقفزة رائعة أن يجد المسلم لنفسه ولأهله فرصة المتعة والتعلم عبر هذه الفنون الراقية ، بدلاً من طوفان الانحلال والفساد الذي يواجهه الآن ، ويجاهد للهروب منه وحماية أهله وأولاده من شروره !

السينما

● ولم توجد بعد مؤسسة متخصصة في إنتاج الأفلام السينمائية التي تخدم الدعوة الإسلامية في العالم العربي ، وإن وجدت أفلام تاريخية واجتماعية يمكن اعتبارها خادمة على نحو ما للدعوة الإسلامية . من ذلك مثلاً فيلم : خالد بن الوليد ،

وفيلم صلاح الدين الأيوبي ، وفيلم عمر المختار . هذا على الرغم من ظهور عشرات الأفلام الأمريكية التي تهاجم الإسلام ، ومئات الأفلام المصرية التي تروج للفكر العلماني والانحلال الأخلاقي .

● والظاهر أن إيران سبقت العالم العربي في هذا المضمار . فقد أنشأت «جمعية التبليغ الإسلامي» مركزاً للإنتاج السينمائي ، الذي أنتج وعرض أفلاماً سينمائية جيدة^(١) .

● فلماذا لا تكون لدينا مؤسسة للسينما الإسلامية ؟ إنها وسيلة يسيرة ، ممكنة ، ومربحة ، وضرورية . وهذه المؤسسة سوف تسد الفجوة الفنية الملحوظة في إنتاج أفلام الكرتون . إننا الآن نعرض أولادنا لتأثيرات أجنبية ضارة حين نتركهم فريسة لأفلام الكرتون غير الإسلامية .

- وهذه الأفلام تنتج الآن في مصر ولبنان وإيران . وهي تحمل القيم المرغوبة في بلد الإنتاج . ففي مصر هناك مسلسل «بكار» الذي يبشر بقيم الوطنية والتسامح . وفي إيران يصنعون الأفلام للدعوة للثورة ، كما أنهم صنعوا «دمية» تحمل القيم الشيعية إلى أطفالهم . وفي لبنان وتركيا فضائيات تعرض أفلاماً ومسلسلات هادفة جيدة .

● فطالما أن الإسلام يُهاجم عن طريق السينما ، كان من الواجب علينا المواجهة بالسلح نفسه . وهذا أمر ميسور للأفراد ، ناهيك عن المؤسسات التجارية والحكومية .

● ولكن على الرغم من كل هذه الحقائق والوقائع ، لا يزال المسلمون عازفين عن اتخاذ المسرح وسيلة للدعوة ! والعزوف نفسه يواجه السينما ، التي لعبت دوراً خطيراً ضد الإسلام والمسلمين . وقد أنتجت هوليوود منذ العشرينيات من القرن الماضي عدداً من الأفلام الأمريكية صورت الإنسان العربي المسلم في صورة إنسان

(١) انظر : عادل حسين ؛ إيران . . الدولة الإسلامية . . ماذا تعني ؛ ص ١٩ .

همجي متخلف قاسي القلب ، تاجر عبيد ، وزير نساء . وبعد زوال المعسكر الشيوعي صوّرت السينما الأمريكية الإنسان المسلم على أنه العدو الجديد للغرب . وفي عام ١٩٩٨ عرضت إحدى محطات التلفاز الفرنسية فيلماً بعنوان : «أبدلاً بدون ابنتي» صور حياة أسرة الوالد فيها إيراني مسلم والزوجة أمريكية . وسافر الوالد إلى إيران وقرر الاستقرار فيها ، لكن الزوجة رفضت الحياة مع الزوج وأصرت على العودة إلى أمريكا مع ابنتها . ويشنّع الفيلم على الإسلام والمسلمين ، وعلى قيم الإسلام ونظامه ، ويصفه بالتخلف والرجعية .

- وتعددت الأفلام التي تهاجم الإسلام ، وتُعلي من قدر المسيحية والنظم الغربية العلمانية ، مصطنعة الطرق الفنية غير المباشرة .

● وظهرت أصداء تلك الهجمات في عدد من الأفلام المصرية ، فيها إغراء على التحلل من القيم الإسلامية ، وتتسم بقدر من الإسفاف والتعارض مع قيم المجتمع الأمر الذي حمل لجنة الثقافة والإعلام والسياسة بمجلس الشعب على التحرك لصد تلك الموجة^(١) .

- وفي الولايات المتحدة الأمريكية احتجت الجمعية العربية الأمريكية لمكافحة التمييز العنصري على الأفلام التي تشوّه الإسلام وتحط من أقدار المسلمين . واتصلت الجمعية بـ «وارنر براذرز» واتفقت معها على أن تستشير الشركة خبراء عرب ومسلمين عند إنتاج أفلام عن العرب والمسلمين . فكان ذلك مثلاً ناجحاً للدعوة الإسلامية في مجال السينما في الغرب . وحقق المسلمون الأمريكيون نجاحات أخرى مهمة في مجال التلفزة الأمريكية .

المسرح في خدمة أعداء الدين

● حقاً إن المسرح فن يوناني قديم . وكان الدين لدى اليونان يشغل مساحة واسعة من النشاط المسرحي . وفي أوروبا كان المسرح يستخدم للتبشير بالمسيحية .

(١) الأهرام اليومية ؛ في ٢٩/١٠/٢٠٠٣ .

ولما نبذت أوروبا المسيحية واعتنقت الفلسفات المادية ، عبّر المسرح عن ذلك .
فالمسرح أداة فنية لنشر دين المؤلف أو مذهبه الفلسفي أو الاجتماعي .

- لكن المسرح في العالم الإسلامي ولد في حضن أشخاص متغربين ، وغير مسلمين وبعضهم كان متعصباً لدينه ، مثل يعقوب صنوع ومارون النقاش وسليم النقاش . وبصفة عامة لم تراعى المسرحيات شعور النظارة المسلمين ، بل استفزتهم أحياناً .

- وفي بلاد الشام اضطر الشيخ سعيد الغبراء إلى الاستجداء بالسلطان عبد الحميد الثاني لوضع حد للعروض المسرحية التي لا تراعي القيم الأخلاقية ، فتم إغلاق مسرح أبي خليل .

● وظلت هناك جفوة بين المسلمين وبين هذا الفن وأهله . من ذلك أن النظارة المسلمين اعترضوا على مسرحية «عراقي» التي مثلتها فرقة خليل القباني يوم ١١/٤/١٩٠٠م ، الأمر الذي أدى إلى نشوب معركة بالكراسي^(١) .

- وبعد خمسة وتسعين عاماً تكرر ما حدث سنة ١٩٠٠ ، حين كانت فرقة مسرحية نرويجية تمثل على مسرح القلعة بالقاهرة ؛ وقد ظهر الممثلون على المسرح عراة تمام العُرْي ، ففزِع النظارة فزعاً شديداً ، وقاموا بثورة ، فضربوا الممثلين بالأيدي والأرجل والأحذية !

● وحتى الآن ، لا يزال المسرح العربي يؤدي دوره التغريبي والإفسادي المنحل في معظم المسرحيات . ولا تزال الجماهير المسلمة تنظر إلى المسرح على أنه متمرد على القيم الدينية التي يؤمنون بها ، ولذلك يهجره إلا في حالات قليلة جداً .

(١) راجع : دكتور محمد يوسف نجم ؛ المسرحية في الأدب العربي الحديث ؛ دار الثقافة ؛ بيروت ؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ؛ ص ٥١ .

محاولات إسلامية

● ولقد حاول بعض شيوخ الأزهر استغلال المسرح في الخطاب الديني ؛ وقد عرفوا أثره البعيد في قلوب الناس وعقولهم . فألف الشيخ علي الطنطاوي في الثلاثينيات من القرن الماضي مسرحية . والظاهر أن تلك المحاولة أخفقت منذ البداية .

- لكن الأمل ظل يراود الكثيرين ، فجزّت محاولات في جمعية الشبان المسلمين . وأذكر أنني شاهدت مسرحية إسلامية على مسرح دار الأوبرا القديمة موضوعها صلاح الدين الأيوبي (ولا أذكر التاريخ) .

● وتألفت « فرقة المسرح الإسلامي » في الخمسينيات من القرن الماضي ، برئاسة المخرج محمد عثمان ، بهدف : « تنمية الروح القومية الإسلامية وبث الشعور بالعزة والكرامة في شباب الأمة ، بعرض الأمجاد التاريخية وتعريف المواطنين بتاريخهم الإسلامي المجيد »^(١) .

● وأخرج محمد عثمان مسرحية « حليلة السعدية » في أول عمل لفرقته . ونالت المسرحية إعجاب رجالات الأزهر ، فقال مدير مكتب شيخ الأزهر ومراقب عام البحوث والثقافة بالأزهر الشيخ محمد فهمي إسماعيل : « أشجع المسرح الإسلامي بقلبي ودمي وكل شعوري ، وأرجو أن يتناول هذا التقدير المؤلف الأستاذ حزين سلامة والمخرج الأستاذ محمد عثمان وجميع المشتركين في تقديم مسرحية « حليلة السعدية » ، وأتمنى للمسرح الإسلامي في جميع مراحلها كل تقدم »^(٢) .

شارك شيوخ آخرون الشيخ محمد فهمي إسماعيل هذا التقدير .

- وتوقفت فرقة محمد عثمان . والمهم أن هذه المحاولات لم تجد اعتراضاً من رجال الأزهر ، بل لقيت التشجيع والإعجاب الكبير .

(١) الفقرة الأولى من الكتيب الخاص بمسرحية حليلة السعدية .

(٢) آخر صفحة من الكتيب نفسه .

● وذكر الأستاذ عبد الرحمن البنا في مقال له في جريدة الشعب أنه شكل فرقة مسرحية إسلامية في الخمسينيات ، وأنها أخرجت مسرحية « غزوة بدر » على مسرح الأزيكية يوم الجمعة ١٩ رمضان المعظم سنة ١٣٦٥هـ الموافق ١٦/٨/١٩٤٦م ، وكان من بين أعضائها عبد المنعم مدبولي وإبراهيم الشامي ومحمد السبع وعبد البديع العربي^(١) . وقد صاروا اليوم من رواد المسرح في التمثيل والإخراج .

● وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين ، ومع ظهور التلفاز ظهرت المسلسلات الإسلامية التاريخية ، التي « تشخص التاريخ » ولا تتخذ مادة لتبني الأفكار والقيم الإسلامية ، ومع ذلك استمرت ولقيت قبولاً حسناً .

● ثم دخلت الجامعات السعودية مجال المسرح في بداية القرن الهجري ١٥ وأعلنت جامعة الرياض عن مسابقة للتأليف المسرحي ، على مستوى العالم العربي ، فتقدم لها ٧٤ مؤلفاً بأربعة وسبعين مسرحية^(٢) . وكانت خطة الجامعة تشتمل على إخراج بعض تلك المسرحيات الفائزة بالجوائز ، لكن تلك الخطة لم تنفذ لأسباب فنية .

- وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد أعلنت عن مسابقة أخرى للتأليف المسرحي سنة ١٤٠٠هـ . وفازت مسرحية « الصداق » بالجائزة الأولى لمسرحيات الفصل الواحد . وأخرجت « الصداق » على مسرح كلية الشريعة بالرياض ، ولقيت قبولاً حسناً^(٣) .

(١) جريدة الشعب ؛ يوم ٢٩/١١/١٤٠٨هـ .

(٢) كان لي شرف الفوز بالجائزة الأولى عن مسرحية « قطار خرج عن القضبان » ، وهي في ثلاثة فصول .

(٣) وكانت من تأليف كاتب هذه الدراسة . وكانت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون تعرض بعض المسرحيات في الرياض العاصمة وفي بعض مراكزها في المدن الكبرى . ودفعني ذلك إلى الاتصال بها والتعاون معها ، فعرضت لي مسرحية « سقوط الحساب » على مسرح المربع في رمضان المبارك سنة ١٤٠٠هـ ، ثم مسرحية « الكرمانية » على المسرح نفسه سنة ١٤٠٢هـ .

● وأهم من ذلك أن عرض مسرحية على مسرح كلية الشريعة يزيل كل ريبة في حرمة التمثيل المسرحي . فهو وسيلة فعالة للدعوة ، ولا يجوز أن تُترك لأعداء الإسلام من المتغربين دون أن يُزاحمهم أحد .

- ولكن للأسف كانت تلك هي المسرحية الوحيدة التي رأت النور .

● والآن بعد انتشار القنوات الفضائية ، يبدو المسرح الإسلامي ضرورة دعوية . فالناس لا تدع مسرحية لتصغي لحديث ديني ، ولا تدع الأفلام والمسلسلات إلا لتشاهد ما هو أقوى جاذبية . فالتحديات الراهنة أقوى كثيراً من تلك التي واجهت المسلمين في الثلاثينيات من القرن الماضي وتلك التي واجهتهم في نهايته .

● والمسرح ، وما ينبثق عنه ، من أفلام سينمائية ومسلسلات تلفازية ، سيكون له آثار إيجابية بعيدة المدى . وهو يمثل تنوعاً بارزاً وتطوراً هائلاً في قائمة الوسائل الدعوية . وسوف يثبت أنه من أهمها .

● ولعل الدرس البالغ في دعوة نبي الله نوح عليه السلام هو التنويع في الوسائل . والقرآن الكريم يسجل له هذا التنويع بقوله ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾ ﴾ (نوح: ٥-٩)

مشروعية العمل المسرحي

● ومن أجل إزالة أية شكوك حول جواز الدعوة عن طريق المسرح ، سأحاول في إيجاز بيان مكوناته وأهم عناصره فيما يلي :

- فأقول وبالله التوفيق إن المكونات الجوهرية للعمل المسرحي هي : القصة ، والصراع ، والحركة . ويليهما في الأهمية الموسيقى التصويرية (أو الجوقة) . وبعض أنماط المسرح تشتمل على غناء ورقص . وتثور عادة مسألة اشتغال النساء بالتمثيل المسرحي تبعاً لذلك . فلا بد أن يمتد البحث إلى هذه المسائل .

(١) القصة

ونبدأ بالقصة التي هي مكون جوهري لأي عمل مسرحي . والقصة قد تكون مجرد خيال . وقد تكون واقعية ، بمعنى أنها يمكن أن تقع لأي إنسان . وقد تكون تاريخية تحكي وقائع حدثت فعلاً في تاريخ أمة من الأمم . وفي كل الحالات تُوظف القصة في خدمة الغاية المنشودة للمؤلف المسرحي .

- والقصة ، بكل أنواعها ، ليست غريبة عن تراثنا الإسلامي . ففي القرآن الكريم نفسه ضروب من القصص . وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب : « وقد استخدم القرآن - في أغراضه الدينية البحتة - كل أنواع القصة : التاريخية الواقعية المقصودة بأمكانها وأشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية ، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج ، والقصة المضروبة للتمثيل والتي لا تمثل واقعة بذاتها ، ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة وأي عصر من العصور»^(١). ومثال النوع الأول قصص الأنبياء ، ومثال الثاني قصة ابني آدم ، ومثال الثالث قصة صاحب الجنتين التي وردت في سورة الكهف .

وفي ضوء هذه الحقائق لا بد أن تتبدد الشكوك التي قد تساور بعض الأتقياء حول حرمة القصة المسرحية . فالقصة أصيلة في ثقافتنا ، ويجب أن نستثمرها ونثريها بأعمال جديدة ، من قصة قصيرة ورواية طويلة ومسرحية .

(٢) الصراع

ولابد أن تنطوي القصة المسرحية على صراع من نوع ما . والصراع عبارة عن أنواع من التدافع والتصادم والنزاع بين الأفراد أو الأفكار أو المصالح والأهواء

(١) منهج الفن الإسلامي ؛ دار الشروق ؛ ط ٤ ص ٢٢٦ .

والشهوات والواجبات أيضاً^(١). والأطراف المتصارعة تختلف في ثقافة أمة عنها في ثقافة أمة أخرى . بل إن شكل المسرح ووظيفته يحددان المناخ الحضاري وأحوال المجتمع^(٢). وعلى هذا يجب أن يكون الصراع في المسرحية الإسلامية بين الشهوات والأهواء من جهة ، وبين الواجبات الشرعية من جهة أخرى ؛ أو بين الالتزام والتحلل ، والحق والباطل . وقد يكون الصراع في المسرحية الإسلامية بسبب عجز البطل عن الوفاء بواجبين شرعيين متقابلين في موقف واحد بعينه . مثال ذلك : واجب شهادة الحق ، حين يكون المجرم والد الشاهد أو ابنه ! فهو يريد أن يكون باراً بوالده ، كما يريد أن يشهد شهادة الحق أيضاً . ولهذا تتصارع في عقله وقلبه مشاعر متعارضة .

(٣) الحركة

يقول «آلمر رايس» - الكاتب والمخرج المسرحي الأمريكي - إن جوهر المسرح هو الحركة ، يعني حركة الممثلين على خشبة المسرح : «وإن المسرحيات تُكتب لكي تمثل». ومعنى هذا أن أداة التوصيل ليست كلاماً يُقرأ ، وإنما هي كلام يُقال بأساليب مختلفة ، مع حركة محسوبة يرسمها المخرج ويؤديها الممثلون . وهذه الحركة لا تعدو أن تكون من الوسائل المشروعة لتوصيل المشاعر والأفكار إلى المشاهدين . والحركة يمكن أن تُوثَّم شرعاً إذا كانت ضارة أو مخالفة لقاعدة شرعية ، كما أنها يمكن أن تكون مندوبة أو واجبة إذا كانت مؤدية إلى طاعة الله تعالى . أما الحركة بدون نية أو غاية ، فلا حكم لها في الشرع . ولم يرد نص من كتاب أو سنة يمكن أن يحرم الحركة التي تجسد مغزى القصص الإسلامي وتوصله إلى المشاهدين^(٣).

(١) د . محمد زكي العشماوي ؛ دراسات في النقد المسرحي ؛ ص ٣٠-٣٧ .

(٢) آلمر رايس ؛ المسرح الحي ؛ ترجمة د . داود حلمي السيد ؛ دار نهضة مصر ؛ بالقاهرة ؛ سنة ١٩٦٥م ؛ ص ٣٨ .

(٣) أبو حامد الغزالي ؛ المستصفى ؛ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ؛ نشر مكتبة الجندي بالقاهرة ؛ (دون تاريخ) ؛ ص ٢٣٠ .

- والحق أن مسألة الحركة يسيرة جداً . فنحن عادة نتكلم ونتحرك ونشير بأيدينا ورؤوسنا لإيضاح معنى كلامنا . والحركة في المسرح محاكاة لما نصنعه في واقع الحياة .

- هذه هي العناصر الثلاثة الجوهرية للعمل المسرحي ، وما عداها ثانوي ويمكن الاستغناء عنه . بل إن أحد كبار المسرحيين الأمريكيين - وهو « جيرزي جروتوفسكي » دعا إلى إقامة مسرح على العناصر الجوهرية الثلاثة ، وسماه « المسرح الفقير » - بدون « ماكياج » أو ملابس أو مناظر مسرحية أو إضاءة أو مؤثرات صوتية^(١) . وقد أخرجت مسرحية « الصداق » على خشبة قاعة المحاضرات العامة بكلية الشريعة بالرياض ، بالعناصر الجوهرية وحدها ، ولقيت القبول والإعجاب . وهكذا يجد المؤلف المسلم أن بوسعه الاستغناء عن أي عنصر ثانوي إذا رأى فيه مخالفة شرعية .

ولقد ألف شيخ أزهري مسرحية سنة ١٨٧٣م وقام طلاب أزهريون بتمثيلها^(٢) . لكن المسرح الإسلامي لم يوجد بحق إلا في بداية القرن العشرين ، حين كتب إبراهيم رمزي وأحمد شوقي وغيرهما مسرحيات عديدة ، أخرج منها عدد قليل ونشر الباقي في كتب . وهذا يدل على أن هناك إحساساً بخطورة هذا الفن ، وواجب تسخير الخطاب الديني المتطور .

نماذج من المسرح العلماني

● وهو المسرح الذي يسخر ضد الدعوة ، وتجد المسرحيات المضادة للدعوة التقدير والرعاية فيه .

مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي

● فعندما لاحت بشائر انتصار الثورة الجزائرية بوصفها ثورة إسلامية ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ، سارع عبد الرحمن الشرقاوي بتأليف مسرحية

(١) دكتور سمير سرحان ؛ تجارب جديدة في الفن المسرحي ؛ نشر مكتبة غريب بالقاهرة ؛ (دون تاريخ) ؛ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١
(٢) دكتور محمد يوسف نجم ؛ المسرحية في الأدب العربي الحديث ؛ ص ٩٠ .

« جميلة » التي حاول فيها إنكار خاصية الثورة الإسلامية . وحفلت المسرحية بامتداح فرنسا وحضارتها ، حتى بلغ التحريف لدى المؤلف حد الزعم بأن عاهراً فرنسية كانت « تجاهد ! » مع المجاهدين ، وهي التي سماها « سيمون » وجعلها تقوم بأهم عمل ثوري !

- وأظهر المؤلف عبد الرحمن الشرقاوي ، وهو يساري شيوعي عطفه على الجنود الفرنسيين الفقراء الذين يجبرون على قتل الجزائريين على غير إرادة منهم ! وتساءل الناقد محمد جلال كشك إن كان ذلك استعداداً لترجمة المسرحية إلى الفرنسية؟^(١)

● ومن المسرحيات الفائزة بجوائز وزارة الثقافة المصرية مسرحية بعنوان : « مَرَحَى غيلان » . وبطل المسرحية هو غيلان هذا . ويصفه المؤلف فيقول إنه : « شيخ في الستين ، متحدث وحكيم ، شخصية غير واقعية ، لم يأت به التاريخ ، لأنه ما زال يحمل فوق كهولته أعباء التاريخ وأعباء الزمان والمكان » . ويقول غيلان عن نفسه : « أنا الضمير الآدمي »^(٢) . وهو متهم بالخروج على الحكم في عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) . ويحكم عليه بالإعدام ، لكنه يتلاشى أو يتبخّر! وتصوره المسرحية على أنه مصلح كبير ، واثار ضد المظالم ، وزعيم للشعب ، مثل المهيجين الشيوعيين في العصر الحديث .

- وحين يواجه الخليفة الراشد الخامس يقول له : « أنت امتداد بني أمية والطفة السابقين »^(٣) . وبعد ذلك يقول عمر : « غيلان حق »^(٤) ويعينه والياً على العراق لكنه يرفض^(٥) . ويأمر عمر بإصدار بيان باسم الخلافة يشتمل على آراء غيلان^(٦) .

(١) محمد جلال كشك ؛ الغزو الفكري ؛ نشر المختار الإسلامي ؛ ط ٤-١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ؛ ص ٧٢ .

(٢) وزارة الثقافة - المركز القومي للمسرح ؛ مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ص ٣٠٦ ؛ والمسرحية من تأليف عبد المنعم محمد عبد المنعم .

(٣) نفسه ؛ ص ٤٦٤ .

(٤) نفسه ؛ ص ٣٦٩ .

(٥) نفسه ؛ ص ٣٧٧ .

(٦) نفسه ؛ ص ٣٧٩ .

● وقد نوافق المؤلف في رأيه برفض المظالم والانحرافات ، لكننا لا يمكن أن نوافق على الصورة غير اللائقة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ولا على اختيار اسم غيلان ليكون معبراً عن الضمير البشري ، لأن « غيلان » التاريخي ذهب في نفي القدر مذهب معبد الجهني ، واستتابه عمر بن عبد العزيز ، ولكنه عاد إلى دعوته ، فقتله هشام بن عبد الملك . فكان الخلاف بينه وبين السلطات عقيدياً ، ولم يكن زعيماً للفقراء والعبيد والمظلومين . ومهما قال المؤلف إنه شخصية غير واقعية ، فإن المسرحية تنفي قوله وتؤكد أنه هو غيلان التاريخي الذي لا يستحق شيئاً من تقدير المؤلف الزائف .

● وفي « مسرحية الانتظار » ، تأليف سيد محمد أبوزكري ، قصة زوج ضَبَطَ زوجته في الفراش مع رجل غريب ، فقتلها . ثم قتل نفسه ومات منتحراً .

- ويشهد النظارة الزوجين وهما في العالم الآخر يتحادثان . وهما يتناولان مسألة الجبر والاختيار ، وتبدو السطحية المفرطة في آرائهما ، في محاولة لتسويق جريمة الزنا . وتزعم المرأة أن زوجها كان صفقة بالنسبة لزوجها : « أما بالنسبة لي فكان عملية اغتصاب . . عملية اغتصاب حقيرة »^(١) .

● وتنتهي المسرحية بدخول الزائنين الجنة ، ودخول الزوج المخدوع النار!

- وهكذا يحاول المؤلف تسويق الزنا ، لا لشيء سوى أن الزائنين كانا على علاقة حب ، لكن والد المرأة زوجها لرجل آخر . ومعاشرة الزوج لزوجته اغتصاب جزاؤه جهنم!^(٢)

● ومن ضمن المسرحيات التي فازت بجوائز وزارة الثقافة المصرية مسرحية « السادة لا يكذبون » من تأليف الدكتور كمال الدين حسين ، سنة ١٩٩٩ وهي

(١) مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ؛ ص ٤٩٦ .

(٢) نفسه ؛ ص ٥٠٨ ، ص ٥١٠ .

قصة أسطورية يطرح المؤلف من خلالها آراء عديدة حول الحكم والحكام ،
وبطانتهم ، ويشكك في الجميع ، الحاكم والوزير والكاهن والبهلول ، والناثر
والشعب المحكوم نفسه ، والأفكار المتداولة بينهم جميعاً^(١).

●● ترى هل سنظل على موقفنا الرافض للمسرح إلى يوم الدين ؟ هل سندع
الإعلام المسرحي الثقيل ليستأثر به أعداء الإسلام ؟ ومن ذا الذي يتحمل مسؤولية
ذلك أمام الله تعالى؟

* * *

(١) مجموعة المسرحيات الفائزة ؛ سنة ٢٠٠١ ؛ ص ١٢٣-٢٠٨ .

ملحق الباب الثاني

قوائم الوسائل

بعد هذا الباب الطويل في حوالي مائة وخمس وعشرين صفحة ، من المفيد أن نحدد الوسائل المقترحة للخطاب الديني المتطور ، والوسائل التي يمكن أن نطورها من تلك التي نستخدمها الآن أو كان المسلمون يستخدمونها في الماضي ، وكذلك الوسائل التي اصطنعها كبار الدعاة في العصور الحديثة .

الوسائل المقترحة

- أهمها : تكوين فرقة مسرحية إسلامية ، وإنشاء دار عرض خاصة لها ، في إحدى العواصم الإسلامية ، ثم تكرار التجربة في سائر العواصم الإسلامية .
- ويأتي بعد المسرح ويرتبط به مشروع إنشاء مؤسسة خاصة للإنتاج السينمائي والتلفازي ، والإعلامي .
- وأقترح مشروع « مكتبة الحي » الإسلامية ، و « مكتبة القرية » ، وإذا أمكن ، تلحق بها صالة محاضرات ، وقاعة لعرض الأشرطة الدعوية .
- وإصدار الكتيبات التصحيحية وتوزيعها . وهذا يحتاج إلى إنشاء مؤسسة تراقب ما ينشر ، وتصحح ما قد يكون به من أخطاء .
- وتكوين لجان مشورة تسمى « أصدقاء خطيب الجمعة » في كل مسجد جامع .
- وأقترح إحياء وسيلة « تأليف القلوب القرآنية » المهجورة .
- وتوظيف الوسائل المالية في مواجهة التنصير (إلى جانب الوسائل الأخرى بطبيعة الحال) .

تطوير الوسائل المستخدمة حالياً

- وتطوير الوسائل المستخدمة حالياً مهم جداً . ومهمة التطوير تقع على عاتق أهل الاختصاص الكبار . وأما التفاصيل فكل فيها فقيه نفسه .
- وأول ذلك التزام العلم واجتناب الخرافات والإسرائيليات والقصص الزائف في كل الوسائل الدعوية .

■ والثاني استيعاب كل المستجدات وأخذها في الاعتبار ، سواء في أحوال المخاطبين والوسائل والمنهج الدعوي .

■ والثالث أن يكون اتجاه التطوير إلى توسيع دائرة كل ما هو إسلامي في «الهجين» الثقافي ، وتنحية كل ما هو مادي معارض للإسلامي .

● وهذا التطوير يجب أن يشمل الوسائل التالية :

■ كليات الدعوة ومعاهدها وأقسامها بحيث تستطيع تخريج دعاة قادرين على استعمال الوسائل الحديثة ، بما في ذلك « الإنترنت » والفنون والمسرح .

■ مراجعة المواد « القيمة » في مناهج التعليم وتنقيتها من « المادية » وإبراز طابعها الإسلامي (وهي مواد التربية الإسلامية والدين والتاريخ ، والفلسفة والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة) . وإدخال بعضها في الجامعات .

■ العمل بخطة تجعل الصحافة كلها إسلامية ، لا مجرد باب في كل جريدة أو صفحة في مجلة . وأعني بهذا أن تلاحظ تعاليم الإسلام ومقاصده العليا في كل ما يكتب من مقالات وتحقيقات ودراسات .

■ تطوير الإذاعات الإسلامية بحيث تلتزم بالمقاصد العليا للشريعة ، وتخلص من «الهجين» السائد فيها الآن .

■ التدقيق في اختيار المخطوطات التي تطرح للتحقيق ، ودعمها ، علمياً ومالياً ، وإدخالها في مناهج الدراسة الجامعية .

■ الإعداد الجيد للمؤتمرات لكي تخدم أهداف التطوير ، والبعد عن « الاحتفالية والشكلية والدعائية » السائدة الآن .

■ التوسع في عقد المسابقات البحثية في إطار التطوير المنشود ، ورصد الجوائز والمنح لها ، ونشر إنتاج المتسابقين المميزين ، على أن تدخل الآداب والفنون في خدمة الدعوة ، وتوضع ضمن موضوعات البحوث .

- تكليف جهات متخصصة بطبع ونشر الإنتاج الإسلامي وتوزيعه (الكتاب العلمي ، والمسرحية ، والرواية ، وديوان الشعر) .
- إلزام الوعاظ والخطباء بإجراء دراسات إسلامية ، وفتح باب الحصول على مؤهلات أعلى لهم ، وتكليفهم بتدريس بعض المواد القيمة في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، إلى جانب التدريب الجاد المتواصل .
- إنشاء مركز بحوث لمتابعة ما ينشر عن الإسلام في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، ونقده ، وتقويمه ، في دورية ربع سنوية محترمة ورصينة .

الوسائل التقليدية

- الاتصالات الشخصية (والحوار ، والجدل) .
- الرسائل إلى الزعماء والقادة عن طريق الوسائل المتاحة .
- إرسال البعث للدعوة (في خارج البلاد العربية) .
- الخطابة (وخطبة الجمعة) .
- الوعظ .
- التعليم في المدارس الرسمية (والأهلية ، والكليات والمعاهد الجامعية) .
- الكتابات لتحفيظ القرآن الكريم .
- الكتاب الإسلامي .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) .
- الإفتاء .
- الخدمات الاجتماعية .

الوسائل العصرية

- التربية والتعليم (التربية الإسلامية - المواد القيمة - معاهد لتخريج الدعاة) .
- الإعلام (صحافة وإذاعة وتلفزة) .

- دور النشر الإسلامية .
- الآداب والفنون (الرواية والقصة والشعر) .
- الحوار الإسلامي المسيحي وحوار الحضارات ومؤتمراته ، ورد الشبهات .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتابة .
- الاتصالات الفردية وال Chat rooms : تدريب الأفراد عليها والحث على ممارستها .
- ترجمة الكتاب الإسلامي إلى اللغات الأجنبية .
- تحقيق التراث الإسلامي ونشره وإعماله .

● ما الوسائل التي اصطنعها كبار الدعاة في العصر الحديث ؟

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١١١٥-١٢٠٦هـ) ، اصطنع : الدروس الدينية ، والوعظ ، والخطابة ، والإفتاء ، والرسائل ، والمناظرات ، وتأليف الكتب ، والعمل السياسي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .
- واصطنع الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله (١٨٣٩-١٨٩٧م) : الدروس الدينية ، وحلقات النقاش والمناظرات ، وكتابة المقالات للصحف ، وتأليف الكتب ، والعمل السياسي .
- وأما الشيخ محمد عبده رحمه الله (١٨٤٥-١٩٠٥م) فكان التعليم محور حياته . وإلى جانب التعليم مارس محمد عبده التأليف والصحافة والإفتاء والعمل الخيري (كرئيس للجمعية الخيرية الإسلامية) ؛ فهذه خمس وسائل دَعَوِيَّة . والتعليم يشمل التدريس في دار العلوم بالقاهرة ، وفي أثناء نفيه في بيروت . والتأليف يشمل حاشية على شرح الدواني، وشرح مقدمات البديع ونهج البلاغة، ورسالة التوحيد ، والرد على «هانوتو» ، ويمكن إضافة تفسير القرآن إلى

(١) د . عبدالرحمن عبدالهادي ؛ دراسات في تاريخ المملكة العربية السعودية ؛ نشر دار الخريجي بالرياض ؛ سنة ١٤٢٣هـ ؛ ص ٢٤ ، ص ٢٩ .

مؤلفاته أو إلى دروسه . وعمله في الصحافة يشمل تحرير « الوقائع المصرية » والإسهام في تحرير مجلة « العروة الوثقى »^(١).

■ واستخدم الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : كتابة المقالات ، والإفتاء من خلال البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، وإعطاء الدروس والمحاضرات العامة ، وحاول تأليف مسرحية إسلامية .

■ واستخدم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : التدريس والخطابة ، وتحقيق التراث ، والإفتاء ، وكتابة المقالات الصحافية ، والوعظ والإرشاد ، والإسهام في المؤتمرات .

■ واستخدم الأستاذ المودودي رحمه الله : تكوين الجمعيات ، والخطابة ، والمحاضرة ، والصحافة ، وتأليف الكتب ، وتفسير القرآن ، والبرامج الإذاعية ، والمؤتمرات ، والندوات ، والإفتاء ، والوسائل المالية ، والسياسية .

■ واستخدم الأستاذ الندوي رحمه الله : التدريس ، وإلقاء المحاضرات ، وتأليف الكتب ، والخطابة ، والمؤتمرات والندوات ، والاتصالات الشخصية ، والترجمة ، وإدارة المؤسسات الإسلامية .

■ واستخدم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله : التدريس ، والخطابة ، وتأليف الكتب ، والإفتاء ، والكتابة للصحف ، وتكوين الجمعيات في خدمة الدعوة الإسلامية .

■ واستخدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : الخطابة ، وتأليف الكتب ، وإلقاء المحاضرات العامة ، والتدريس ، وكتابة المقالات ، وحضور المؤتمرات ، والإفتاء ، والاشتراك في قيادة الجمعيات ، والوسائل الإذاعية والتلفازية (أحاديث وندوات) .

(١) راجع : عباس محمود العقاد ؛ محمد عبده ؛ ص ٦٥ .

● ويلاحظ أن كل واحد من هؤلاء الدعاة قد اصطنع الوسائل التي أتيت له في عصره وفي بيئته الاجتماعية ، وبما يتناسب مع حالة المخاطبين ، وما يمكنه من التصدي للقي المضادة للإسلام . وهذا درس لنا اليوم ، فلا يجوز أن نهمل وسيلة دعوية لأن شيوخوا لم يستعملوها ، أو لأن أعداء الإسلام استأثروا بها ، فبدت للبعض كأنها لا تصلح إلا للهدم والتشكيك والفساد ، فإن الوسائل محايدة ، كما سبق أن ذكرت ، بها يمكن الإصلاح والإفساد جميعاً .

أقول هذا في ختام هذا الباب لإحساسي بأن كثيرين سوف يترددون في استعمال المسرح والسينما ، ويتأثمون منهما ، واقتناعي بأنهما أصبحا أخطر وسيلتين للخطاب الديني المتطور في العصر الحديث . فهل نملك العزيمة والشجاعة والاقتناع بواجب اقتحام عالم المسرح والسينما ، أم نتردد ، ونتقاعس ، لتظل المواجهة مع أعداء الإسلام بين : الصواريخ العابرة للقارات وسيوف من خشب ؟ !

* * *